

الحفاظ على وحدة الكنيسة في زمن الحرب

الميتروبوليت مارك (أرندت)

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الأعزاء في الرب الآباء والإخوة والأخوات

خلال هذه الأيام المرعبة التي تختلط فيها تيارات الدم مع سيل الخداع والشر، لا يمكننا نحن المسيحيين أن نسمح لأنفسنا بالخضوع لروح الحرب. روح الحرب متطلب. إنه يتطلب منا الانقسام إلى أحزاب. إنه يجبرنا على الكراهية.

يجب علينا نحن المسيحيين أن نفهم أنّ الغضب الذي تشتعل به الحرب هو غضب الجحيم. إن عدو الله لا يشرب من دم الإنسان بقدر ما يشرب من مرارة الناس وانقسامهم. إن أكثر ما يريده الشيطان هو فصل الإنسان عن قريبه، عن الكنيسة وعن المسيح.

هذا ليس بجديد. قبل بداية الصوم الكبير، في أسبوع البياض، يحذرنا الرب: " وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِخُرُوبٍ وَأُخْبَارِ خُرُوبٍ. أَنْظَرُوا، لَا تَزْتَاعُوا. لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلُّهَا، وَلَكِنْ لَيْسَ الْمُنتَهَى بَعْدُ. لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ.. وَحِينَئِذٍ يَغْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّفُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبَغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا... وَلِكثَرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الكَثِيرِينَ. وَلَكِنَّ الَّذِي يَضِيزُ إِلَى الْمُنتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ." (متى ٢٤: ٦-١٣).

نحن نسير نحو الدينونة العادلة، الدينونة الإلهية الشاملة. إن الذين ينسون هذا يحكمون على الآخرين بسرعة ولا مبالاة- وهذه حربٌ بالفعل، حرب الشيطان القديمة ضد الله. فإلى جانب من نقف؟

هذه الرسالة موجهة إلى الذين يخدمون الكنيسة، كما إلى الذين انضموا (إليها) حديثًا. الأبرشية الألمانية هي كنيسةنا المحلية، وهي تضم كهنة ومؤمنين من جنسيات مختلفة منهم الأوكرانيون والروس والبيلاروسيون والكارباثيون واليهود و"الألمان الروس" والمهاجرون والألمان المحليون "الأصليون" واليونانيون والمولدوفيون والصرب والجورجيون والبولنديون والتشيكيون والمجريون... كل منا يحب وطنه. لكن الرب الرحيم وحَّدنا ودعانا إلى إقامة حياة الكنيسة في هذه الأبرشية، لخلاص الأجيال الحالية والمستقبلية من المسيحيين الأرثوذكس في هذه الأمة. هنا يجب أن نكون شعب الله، ونخدم الإله الواحد.

إذا سمحنا لهذه الخدمة بالانقسام على أساس العناصر الوطنية، فسوف نرتكب أكثر الخطايا جسامةً: تمزيق جسد الكنيسة الحي الموحد.

هذا التمزق، هذا الانقسام هو تحديداً ما يشتهيهِ أمير هذا العالم ويطالبنا به بإصرار متزايد. نحن نتذكر أن المسيح كان مطالباً أيضاً بالعمل كقائد سياسي يدمر المحتلين، بأن ينفصل عن الغزاة الرومان ويصبح إلهاً، ليس لكل البشرية، بل لأمة متألّمة واحدة. وعندما لم يستجب لهم - كما بدا في ذلك الوقت للكثيرين أن توقعاتهم ومطالبهم السياسية صالحة ومُحقّقة، فإننا نتذكر ما فعله به الذين قدموا تلك المطالب.

تفترض السياسة دائماً الانقسام إلى "نحن" و"هم". لكن ذبيحة المسيح غير الدموية مُقدّمة "عن الكل ومن أجل الكل". إذا لم تتفق قلوبنا مع عبارة "عن الكل ومن أجل الكل"، فكيف يمكننا إذن أن نتناول؟ هل نحن مسيحيون حقاً؟

فلنرفع نظرتنا الروحي إلى السماء للحظة. فلنفكر في العالم الملائكي غير المنظور. تشير الكنيسة بشكل خاص إلى العلاقة مع هذا العالم خلال الليتورجيا: أثناء الدخول الصغير، الشاروبيكون، ترنيم "قدوس، قدوس، قدوس...". لكن العالم الملائكي ليس محصوراً بجدران الكنيسة. حتى في خضمّ المعركة، وتحت وابل الرصاص والقنابل، عندما يبدو أن الجحيم يسود على كل شيء، فإن كل محارب يرافقه ملاكه الحارس الذي يعتني بالشخص ويحميه ويهتم به ويعاني من أجله. إن الشياطين، خدام إبليس، يسعون جاهدين بحقدهم لتدمير أجساد البشر، وأرواحهم بالدرجة الأولى. الملائكة، كبشراء للمسيح، يسعون جاهدين لإنقاذ كل جندي بحبهم، بغضّ النظر عن الجانب الذي يقاتل (الجندي) من أجله. وهذا الألم تحسّ به الأمهات المصليات في الكنيسة، وزوجات المحاربين وأخواتهم، عندما يصلين لخلاص ومصالحة المحاربين من كلا جانبي الصراع.

علامَ ينبغي أن نفتح قلوبنا: على المحبة أم على الكراهية؟ إلى جانب من نقف في هذه الحرب الحقيقية؟ إذا كنّا مسيحيين، فلنرفض روح الحرب الغريبة عن المسيح. عسى أن يترسخ السلام في قلوبنا، ذلك السلام الحقيقي الأوحد الذي جلبه لنا المخلص بالفعل.

لنتبع دعوة الرسول: " لا تُغْطُوا إبليسَ مَكَانًا. لا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتَّعَبْ عَامِلًا الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احتِياجٌ. لا تَخْرُجْ كَلِمَةً رَدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلَا تُخْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ القُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الفِدَاءِ. لِيُزَفَّعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مَرَازَةٍ وَسَخَطٍ وَعَظْبٍ وَصِيَاخٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ حُبِّثٍ. وَكُونُوا لُطْفَاءً بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شُفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي المَسِيحِ." (أفسس ٤: ٢٧-٣٢)

فليكن لنا ثقة بقوة في كلام المسيح: " قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثَقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا ١٦: ٣٣).
أمين.

١٩ آذار ٢٠٢٢

* الميتروبوليت مارك (أرندت) هو ألماني ومطران برلين وألمانيا في الكنيسة الروسية خارج روسيا. له من العمر ٨١ عاماً وله في الأسقفية ٤٣. تعزف على الأرثوذكسية أثناء تخصصه في الدراسات السلافية، صار أرثوذكسياً في الرابعة والعشرين من العمر، عاش في جبل أثوس لفترة قصيرة، ثم انتقل إلى بلغراد لمتابعة دراسته اللاهوتية حيث انخرط في الدائرة المحيطة بالقديس يوستينوس بوبوفيتش وصار تلميذاً له. كأسقف في الكنيسة الروسية خارج روسيا كان من أعتى الدافعين نحو استعادة الوحدة مع الكنيسة الروسية.

Source: Sermon of Metropolitan Mark of Berlin and Germany on the Need to Preserve Church Unity During Times of War. <https://orthodox-europe.org/content/metropolitan-mark-on-unity/>